الحرب على غزة: الجميع مُهمَل

E/ESCWA/CL2.GPID/2023/Policy brief.5

الأمم المتحدة
الاسكوا
ESCWA

ازدهارُ البلدان كرامةُ الإنسان

marcin jucha/via adobe stock

1. الخلفية

في عام 2007، فرضت إسرائيل حصاراً مفتوحاً على غزة، ووضعت قيوداً صارمة على حركة الأشخاص والسلع إلى القطاع المحاصَر ومنه. وفي وقت لاحق، شنّت سلسلة من عمليات التصعيد العسكري الشرسة، وذلك في 2008-2009، و2012، و2014، و2021، والآن في عام 2023 (الشكل 1). وأدّى الحصار، مقترناً بهذه الهجمات العنيفة، إلى انهيار مسار التنمية انهياراً متواصلاً، وإلى أزمة إنسانية مستمرة، ممّا زجّ سكان غزة، بمن في ذلك النساء والفتيات، في دوّامة من الإهمال.

الشكل 1. الجدول الزمني للتدخلات العسكرية الكبرى في غزة

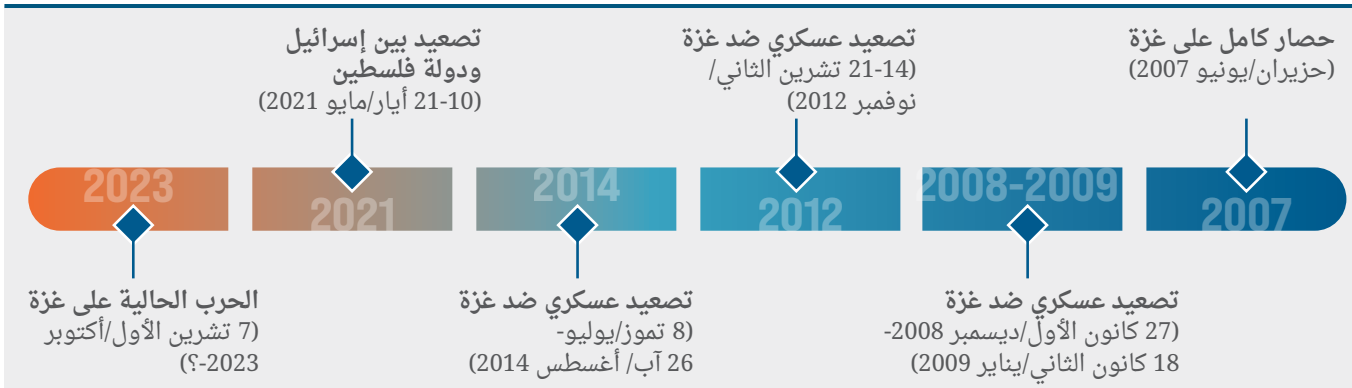

2. الحرب على غزة 2023: عنف يزداد حدّةً لحظة بلحظة

في الفترة من 7 إلى 25 تشرين الأول/أكتوبر 2023، قُتِل 6,547 فلسطينياً وفلسطينية في غزة، وكانت نسبة 68 في المائة منهم من النساء والأطفال حسب التقديرات[1]. ويشكِّل عدد الضحايا، المثير للصدمة، دليلاً على أنّ الحرب الحالية لا تشبه أي تصعيد عسكري آخر شهده القطاع منذ بدء الحصار. ويؤكد تقييم الخسائر البشرية الناجمة عن الأعمال العدائية السابقة أن عمليات التصعيد العسكري في غزة قد أصبحت أكثر فتكاً مع مرور الوقت، كما يتضح من العنف غير المسبوق الذي تشهده الحرب الحالية (الشكل 2).

الشكل 2. أعداد القتلى نتيجة لعمليات التصعيد العسكري الكبرى في غزة

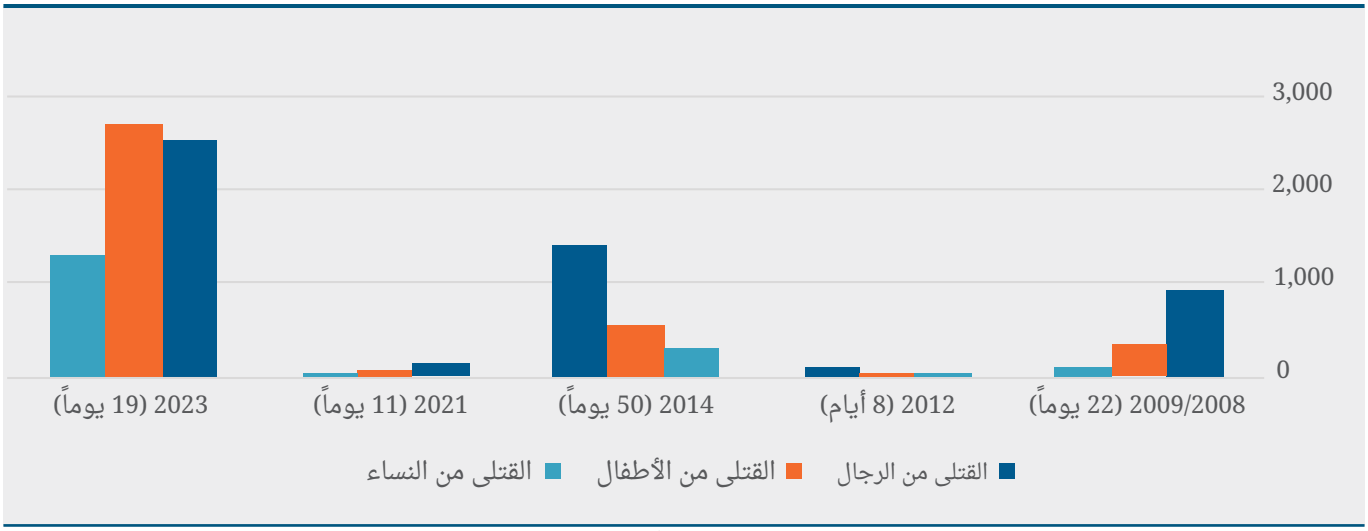

المصدر: بيانات مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية، حتى 25 تشرين الأول/أكتوبر 2023.

3. الأشخاص ذوو الإعاقة في أوقات الحرب: أكثر عُرضةً للمخاطر من أي وقت مضى

ارتفعت معدلات الإعاقة في غزة على مدى العقد الماضي، وخصوصاً بين الذكور، بفعل الصراع بشكل أساسي. على سبيل المثال، تضاعف عدد الأشخاص ذوي الإعاقة في الفترة بين عامي 2007 و2017، فازداد بما قدره 65,000 شخص إضافي. ويعاني هؤلاء أكثر بكثير من غيرهم من تدهور الظروف المعيشية بسبب الحصار والأعمال القتالية[2]. ويواجه الأشخاص ذوو الإعاقة، أكثر من غيرهم، خطر استبعادهم من المشاركة الاجتماعية والحرمان من الخدمات. ومع ذلك، فإن المخاطر التي يتعرَّضون لها في زمن الحرب لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وذلك نتيجة للحصار الذي

1 مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية، تقرير موجز بالمستجدات رقم 19 (25 تشرين الأول/أكتوبر 2023).

2 تقديرات الإسكوا، استناداً إلى بيانات مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، غزة: ذوو الإعاقة متضررون من أزمة الطاقة والرواتب على نحو يفوق غيرهم، 2017.

طال أمده والذي أصبحت الخدمات والمساعدات الإنسانية تحت وطأته شبه معدومة. ويؤدي ارتفاع عدد الأشخاص ذوي الإعاقة إلى زيادة مسؤوليات تقديم الرعاية المُلقاة على عاتق النساء والفتيات داخل الأسرة، كما يزيد من احتمال تولّي المرأة إعالة الأسرة.

بالنسبة للأشخاص ذوي الإعاقة من سكان غزة، كل يوم هو معركة بطولية من أجل البقاء تحت نير الاحتلال والحصار. أمّا في زمن الحرب، فحياتهم لا تساوي أكثر من رصاصة.

4. في الأسر المعيشية التي تعيلها نساء: بطلات يحصلن على دعم محدود

قبل حرب تشرين الأول/أكتوبر 2023 على غزة، كانت النساء يرأسن 11 في المائة من الأسر، وكان عدد هؤلاء النساء يبلغ حوالي 46,000 امرأة[3]. غير أنه من المتوقع أن يرتفع هذا العدد نتيجة للحرب الحالية، إذ إنّ العديد من النساء فقدن أزواجهنّ وأمسَين من الأرامل[4]. وتقدِّر الإسكوا أنّ حوالي 1,816 امرأة ترمّلن في الأيام الـ 19 الأولى فقط من الحرب، وتتوقّع أن يسجِّل هذا العدد ارتفاعاً كبيراً[5]. فالاتجاه الحالي أسوأ بكثير من الاتجاهات المأساوية التي تسبَّبت بها عمليات التصعيد السابقة: فقد ترمَّل ما يزيد على 700 امرأة في غزة عام 2014[6]، ونحو 300 امرأة في الفترة 2008-2009[7].

خلال عمليات التصعيد العسكري السابقة، تجاوز معدل نزوح الأسر المعيشية التي تعيلها نساء (88 في المائة) ومعدل نزوح الأسر التي يرأسها رجال (77 في المائة)، وبلغ معدّل نزوح الأسر المعيشية التي تتضمن أشخاصاً ذوي إعاقة وترأسها نساء (22 في المائة) ضعف هذا المعدل لدى الأسر المعيشية التي يرأسها رجال (11 في المائة). وبعد التصعيد العسكري في عام 2021، أبلغت نسبة 73 في المائة من الأسر التي تعيلها نساء (مقابل 36 في المائة من الأسر التي يرأسها رجال) عن تراجع كبير في خدمات الصحة النفسية، في حين أبلغت 68 في المائة من الأسر التي تعيلها نساء (مقابل 58 في المائة من الأسر التي يرأسها رجال) عن تدهور في الخدمات المقدَّمة للأشخاص ذوي الإعاقة[8].

وسيؤدي الارتفاع الكبير في عدد الأسر التي تعيلها نساء نتيجة للحرب الحالية إلى تفاقم المخاطر المحيطة بالمرأة، وذلك في ظلّ نظام هشّ لا يملك سوى موارد محدودة لدعمها. وستعاني هذه الأسر الأمَرَّين من أجل تأمين سُبُل عيش كريمة، بسبب ندرة فرص العمل في غزة. وقبل الحرب الحالية، كان معدل بطالة الإناث في غزة يبلغ بالفعل 66.2 في المائة، أي أكثر بكثير من معدل بطالة الذكور البالغ 40.5 في المائة[9]، مما يجعله أعلى معدل بطالة بين الإناث في المنطقة العربية. كما أنّ تَعرُّض الأطفال في الأسر ذات الموارد المحدودة للحرمان المتعدّد الأوجه يعود بالضرر على تحصيلهم العلمي، خاصة في ظلّ إغلاق المدارس، وتدمير بناها التحتية، ونزوح المعلمين والطلاب.

Al Araby/via wikimedia.org

3 PCBS, Conditions of the Palestinian population on the occasion of the World Population Day, 2023/07/11, 2023.
4 United Nations Information System on the Question of Palestine (UNISPAL), Hostilities in Gaza and Israel: flash appeal for the occupied Palestinian territory (12 October 2023), 2023.
5 ESCWA estimates based on UN-Women, Facts and figures: women and girls during the war in Gaza.
6 OCHA, The Gaza Strip: the long term impact of the 2014 hostilities on women and girls, 2016.
7 Al Mezan, OPT - Cast Lead Aggression 1st anniversary, day 1: 96 widows and 245 orphans, 2009.
8 UN-Women, After the May 2021 Escalation: A Multi-Sectoral Gender Needs Assessment in the Gaza Strip, 2022.
9 PCBS, Labour Force Survey (January–March, 2023) Round (Q2/ 3 202), 2023.

5. صحة الأم والطفل: الإنجاب وسط الدمار

توجد حالياً حوالي 50,000 امرأة حامل في غزة، ومن المتوقع أن تلد 5,522 امرأة منهن بحلول تشرين الثاني/نوفمبر 2023[10]. ويذكِّر هذا العدد بالعام 2014، حينما لم تتمكن أكثر من 45,000 امرأة حامل من الحصول على خدمات الصحة الإنجابية الأساسية، وتمت 5,000 عملية ولادة تقريباً في ظروف محفوفة بالمخاطر[11]. وفي عام 2016، بلغ معدل وفيات الأمهات في غزة 15.5 وفاة لكل 100,000 ولادة، ثم ارتفع إلى 17 وفاة لكل 100,000 ولادة في عام 2019[12]. ونتيجة للضرر الجسيم الذي تعود به الحرب الحالية على البنية التحتية للخدمات الصحية، تشير تقارير منظمة الصحة العالمية إلى أنه من بين 35 مستشفى في القطاع، أصبحت 12 مستشفى غير صالحة للعمل[13].

وأصبحت خدمات الرعاية قبل الولادة وبعدها معدومة نتيجة لشدة الدمار والتشريد وإنهاك المستشفيات وافتقارها إلى الموارد. ولذلك، تفتقر عمليات الولادة في غزة إلى شروط السلامة والصحة، ولا تستطيع النساء الحصول على الأدوية اللازمة. ويمكن أن يؤدي إجهاد المرأة الحامل الناجم عن القصف المزمن والعنف والنزوح إلى الإجهاض اللاإرادي، أو إلى مشاكل صحية قصيرة وطويلة الأجل لدى الأمهات والأطفال.

وخلال عمليات التصعيد السابقة في القطاع المحاصَر، كانت صحة الأم والطفل معرَّضة للكثير من المخاطر، وكانت لذلك آثار جسيمة عليهم. ففي أعقاب التصعيد العسكري في أيار/مايو 2021، تعرَّضت حوالي 2,500 امرأة حامل، من أصل 16,500 امرأة حامل، لمضاعفات صحية، حيث اضطرّت العديد منهنّ إلى الخضوع لعمليات قيصرية طارئة[14]. وفي عام 2014، شهِد جناح الولادة في مستشفى الشفاء، وهو المستشفى الأكبر في غزة، عدداً متزايداً من حالات الإجهاض اللاإرادي، والولادات المبكرة، ووفيات الأطفال. وتضاعف معدل وفيات الأطفال حديثي الولادة في مستشفى الشفاء من 7 إلى 14 في المائة بسبب النزاع عام 2014[15]. كما كانت القدرة على الحصول على خدمات رعاية التوليد محدودة، بعد إغلاق المرافق الصحية التي تقدم هذه الخدمات[16]. وفي الفترة 2008-2009، سُجِّل ارتفاعٌ كبير في حالات الإجهاض اللاإرادي في المستشفيات الرئيسية الأربعة في غزة، وفي معدلات وفيات الأطفال حديثي الولادة في مستشفى الشفاء[17].

في غزة، يهيمن على

5,522

امرأة حاملاً ذعر لا يمكن تصوّره من أن يلدن بعد فترة وشيكة تحت القصف العنيف وفي وسط الدمار الشامل، من دون أي مساعدة طبية. والآلاف من الأطفال حديثي الولادة سيفتحون أعينهم على مستقبل غامض المعالم؛ وسيكون أوّل نفَس يتنفّسونه حاملاً لرائحة الموت والدمار.

6. العنف يولِّد العنف

تحت وطأة الحصار الذي طال أمده، وسياسات الاحتلال التي تزداد فتكاً، والحرب الشرسة الحالية، والحصار الكامل لغزة، سيستمر الدمار وستتواصل الأزمات الإنسانية إلى أجل غير مسمى. وفي حين يعاني جميع سكان غزة من هذه الأعمال الوحشية يومياً، لا تزال النساء والأطفال في القطاع في وضع

10 United Nations Population Fund (UNFPA), Crisis in Palestine: UNFPA Palestine Situation Report #1 (13 October 2023).
11 OCHA, Occupied Palestinian territory: Gaza emergency situation report (as at 25 July 2014, 1500 hrs), 2014.
12 UNFPA and others, Status of Implementation of National Commitments in Nairobi ICPD Summit: Palestine, 2020.
13 WHO, oPT Emergency situation Report, Issue 7 (23 October 2023).
14 UNFPA, Escalation in Palestine, Situation Report no. 2, 2021.
15 OCHA, Gaza Initial Rapid Assessment, 27 August 2014, 2014.
16 OCHA, Occupied Palestinian territory: Gaza emergency situation report (as at 25 July 2014, 1500 hrs), 2014.
17 Gaza Strip: Initial health needs assessment - 16 February, 2009, 2009.

أسوأ بكثير من وضع غيرهم من النساء والأطفال في المنطقة العربية والعالم.

وكما اتّضح خلال الأعمال العدائية السابقة، فإن عمليات التصعيد العسكري والحرب لا تُسفر فقط عن إدامة الحلقة المفرغة من العنف، بل تُفضي أيضاً إلى أضرار تتوارثها الأجيال، وإلى نسف آفاق التنمية، وبالتالي إلى تعميق الانقسامات الاجتماعية وتطبيع خطاب الكراهية. ومثل

كلّ يوم يمر دون وقف لإطلاق النار يؤجّج الكراهية المتطرفة، ويوسّع الشرخ داخل المجتمع الدولي.

لا رابح في هذه الحرب.

هذه الظروف لن تؤدي إلى السلام أبداً، بل إنها تهدِّد بتفاقم الانقسامات العالمية. لا رابح في هذا الصراع.

7. نحو مستقبل كريم يعمُّه السلام

ألف. نساء من أجل السلام

ينبغي أن تكون للنساء مقاعد إلى طاولة المفاوضات، وأن يتولّين إدارة دفّة الحوار من أجل صُنع السلام. ويجب الاستماع إلى أصواتهنّ، لضمان تحقيق التنمية المستدامة والسلام الحقيقي داخل غزة ودولة فلسطين بأكملها. فمن دون المشاركة الفعّالة للمرأة، سيستمر الاحتلال والعنف، بل سيزدادان حدة، مما سيؤدي إلى تأجيج التطرُّف العنيف وخطاب الكراهية، وحرمان السكان من فرص الازدهار والعيش الكريم. ولذلك، يجب أن تكون المرأة في قلب جميع عمليات بناء السلام.

باء. لا عودة إلى الوضع السابق

حتى لو انتهت الحرب اليوم، فإنّ العودة إلى الوضع السابق للحرب ليست حلاً. وينبغي ألا يكمن هدف المجتمع الدولي في إعادة غزة إلى ما كانت عليه قبل الحرب الحالية، إذ كانت حقوق الإنسان الأساسية للفلسطينيين تُنتهك انتهاكاً صارخاً بصورة يومية منذ ما قبل الحرب. بل على المجتمع الدولي أن ييسِّر التوصّل إلى وضع يتمتَّع فيه الفلسطينيون بحرية التنقُّل من دون أي قيود، ويحصلون فيه على حقوقهم غير القابلة للتصرف. وينبغي أن يبدأ ذلك بالالتزام بوقف كامل لإطلاق النار، وبضمان احترام القانون الدولي وحماية جميع المدنيين. ولا بدّ من اتخاذ إجراءات عاجلة لضمان صمود المدنيين في غزة، كما يجب أن تتدفق المعونة الإنسانية إلى القطاع دون قيد أو شرط، وبما يتفق تماماً مع القانون الدولي. ويجب أن تُستكمل هذه الجهود في الوقت نفسه بعملية سلام قوية بوساطة دولية، تعالج الأسباب الجذرية للحرب.

جيم. طريق جديد للسلام قائم على الترابط بين المساعدة الإنسانية والتنمية المستدامة

لا بدّ من مواكبة التدخلات الفورية اللازم تنفيذها بخطة تنمية مستدامة شاملة لا تستثني أحداً، ولا تعطي الأولوية لتحقيق نتائج شاملة للجميع ومستدامة فحسب، بل أيضاً لمعالجة التحديات المحدَّدة التي تواجهها الفئات المعرَّضة للخطر والمجتمعات المهمّشة في غزة. ويتعيَّن بذل هذه الجهود في إطار شراكة تعاونية بين أصحاب المصلحة الوطنيين والدوليين، مما يهيئ البيئة المواتية لتحقيق سلام دائم في القطاع المحاصَر.

وهذا النَّهج المتعدِّد الجوانب، الذي يجمع بين مفاوضات السلام والتنمية المستدامة، هو السبيل إلى التخفيف من معاناة سكان غزة، وإرساء الأُسس لمستقبل ينعم فيه الجميع بالسلام والازدهار والأمل.

الأمم المتحدة
الاسكوا
ESCWA

ازدهار البلدان كرامة الإنسان

رؤيتنا: طاقاتٌ وابتكار، ومنطقتُنا استقرارٌ وعدلٌ وازدهار

رسالتنا: بشغَف وعزْم وعَمَل: نبتكِر، ننتج المعرفة، نقدّمُ المشورة، نبني التوافق، نواكب المنطقة العربية على مسار خطة عام 2030.

يداً بيد، نبني غداً مشرقاً لكلّ إنسان.

www.unescwa.org

2301857A